بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذة: دلولة خلدون

السنة الثانية دراسات أدبية

المحاضرة رقم 06

نظريات التعلم 2:

النظـــــــرية البيـــــولـــــوجية:

النظرية البيولوجية:

انطلقت هذه النظرية من فكرة أن السلوك اللغوي خاصية إنسانية تخصّ الجنس البشري انطلاقا من المبادئ الآتية:

- أنّ السلوك اللغوي ارتباطات بالنواحي التشريحية والفيزيولوجية للإنسان، ومنها العلاقة بين اللغة وتركيب جهازي السمع والنطق، ومنها العلاقة بين اللغة والدماغ وإحكام التنفس وضبطه.....إلخ.
- تطور اللغة حسب جدول زمني دقيق يمّر به جميع أطفال العالم وبكيفية واحدة.
- صعوبة وقف تطوَر اللغة، حيث القدرة الكامنة عند الطفل قوّية، تتطوّر في وجه أقوى الصعوبات .

فاللغة - إذن - سلوك يمثل "خاصيّة النوع" إذْ إنّ ضروبا من الإدراك وقدرات التصنيف وما يتصل بها من مسائل اللغة كلها موجودة فينا بيولوجيا، أيضا وجود خصائص نظرية لغوية تفسّر لنا كيف يستطيع طفل أنْ يتقن لغة في وقت وجيز جداً رغم الطبيعة التجريدية لقواعد اللغة وهي كالآتي:

1. القدرة على تمييز أصوات الكلام من الأصوات الأخرى في البيئة.
2. القدرة على تصنيف الأصوات اللغوية إلى أنواع يجرى تهذيبها فيما بعد.
3. معرفة أن نوعا ما منا النظام اللغوي هو الممكن وأن أنواعا أخرى غير ممكنة.
4. . القدرة على إنتاج نظام لغوي مبسط ما يتوفر أمامه من مواد.

وهي خصائص تظهر أن مشكلة اكتساب اللغة تتخطى نظرية المثير والاستجابة لآنها نظرية محدودة وضيقة.

وقد كانت فرضية الفطرة حلا ممكنا للتناقض بين الفكرة السلوكية والتي ترى أن اللغة مجموعة من العادات التي يمكن اكتسابها بعملية الإشراط.

وقد وجدت الأبحاث – في عدد من اللغات- شواهد على وجود أنماط لغوية ومعرفية مشتركة، وهو ما يرجّح أنّ البشر " مبرمجون بيولوجيا" في تقدمهم من مرحلة إلى مرحلة أخرى، وأنّ الناس كالنباتات المزدهرة، مُبرمجون فطريا على أن يثمروا خصائص لغوية متينة في مراحل معينة من أعمارهم، وكما أنك لا تستطيع أنْ تجعل الشجرة تزهر قبل أوانها، فكذلك البشر يزهرون وفق خطوات مبرمجة و محدودة سلفا.

وإذا كان السّلوكيون يرون التعلّم يمكن أنْ يكون متشابها بين جميع الناس، لأنّ أصحاب النظريات المعرفية، أو الذين تبنّوا وجهة نظرهم في قضية التعلّم، والتعلّم اللغوي بشكل خاص، يقفون منهم موقفا مغايرا تماما، فوجهة النظر البيولوجي تقول إنّ كلّ إنسان يتعلم اللغة، لا لأن الجميع يخضعون لعمليات إشراط متشابهة، بل لأن كلّ إنسان يمتلك قدرة فطرية تسمح له بتعلم اللغة، وهذه القدرة عامة بطبيعتها، بمعنى أنّها تنطبق على جميع البشر على اختلافهم في كل زمان ومكان.

واللغة عند علماء التعلّم البيولوجي، شكل من أشكال السلوك المعقّد، لا يمكننا أن نفسره بالاعتماد على المؤثرات الخارجية وحسب.

وبالتالي فمن الخطأ استخدام مبادئ التعلّم التي تمّ التوصل إليها نتيجة إجراء التجارب على الحيوان لتفسير تعلّم الإنسان فالإنسان هو الوحيد الذي يستخدم اللغة البشرية، وهو ما ذهب إليه تشومسكي " أنّ اللغة هي التي تميّز الإنسان عن الحيوان، وأنّها غير خاضعة لأي حافز، فهي تنظيم عقلي فريد من نوعه تستمدّ حقيقتها من حيث أنّها أداة للتعبير والتفكير الإنساني الحرّ"

وهذه الفرضية ما يبررها في تعلّم الأطفال اللغة فمعظم الأطفال يمرّون بمرحلة الجملة - على سبيل المثال- وكلّما كبر الطفل ازداد عدد البنى اللغوية والمفردات التي يستخدمها وازدادت تعقيدا وتشابكا، ولكن آليته اللغوية تساعده

على الاقتراب من لغة الكبار تدريجيا حتى يصل إلى اللغة التي يستخدمها هؤلاء.

من جهة أخرى دلّت الملاحظة حول تعلّم الأطفال للغة أنّ الأطفال يتعلّمون اللغة أحيانا بمجرّد استماعهم لها، حتى بدون مشاركة إيجابية حقيقية من جانبهم، فقد يسمع الطفل كلمة ما مرّة واحدة أو أكثر ولكنه قد لا يستخدمها في ذلك الوقت ، ومع ذلك فقد يستخدمها في موقف جديد تماما، وعليه فإنّ هذه الفكرة قدْ لا تكون دائما مرتبطة بأفضل الظروف المناسبة للتعلّم.

وعليه يرون أنّ السلوك الإنساني أكثر تعقيدا من السلوك الحيواني فضلا عن أنّ السلوك اللغوي خاصية إنسانية لا يشركه فيها غيره من الكائنات ولذلك ظهر مصطلح " جهاز الاكتساب اللغوي" ، ومنه انتقل الاهتمام من البيئة والعوامل الخارجية إلى الطفل ذاته أو المتعلم ذاته.

والاختلاف الكبير بين أصحاب هذه النظرية والسلوكيين لا يتمثل في رفضهم للتحليل القائم على المثير والاستجابة فحسب بل يتمثل في الأهمية البالغة التي يولونها للفهم.

فالفهم مهما اختلفت طرائق التدريس يظل العنصر الرئيس الهام في تعلّم اللغة سواء أكانت اللغة للغة الأم أم لغة أجنبية.

وتفسر هذه النظرية التعلّم على أسس بيولوجية، حيث ترى أنّ السلوك الإنساني يقوم على خاصيتين فطريتين هما التنظيم والتكيّف، أي أن كل ما يعرفه الإنسان ويستطيع عمله، ويريد عمله بالفعل، في كل مرحلة من مراحل حياته، وأن كل ما يتعلّمه هو من أجل التكيّف مع الظروف البيئية، وحتى يتكيف الإنسان وينمو فلا بد له من عملية التوازن داخل البيئة حتى يرتقي الإنسان في النموّ الذي يساعده على حلّ المشكلات التي تواجهه في الحياة.

و قد فسّرت هذه النظرية ظواهر أخرى نوجزها في النقاط الآتية :

1. لا يمكن تعليم اللغة الإنسانية لغير البشر.
2. للغات أسس صوتية ونحوية ودلالية مشتركة، وبإمكان أيّ طفل تعلم أية لغة.

3. لأعضاء النطق وظائف "بيولوجية" أخرى، فالصوت يبدأ من الصدر ثم الرئة ثم الحنجرة ثم الفم، لذلك فإن ظهور أسنان الطفل مرحلة مهمة في النمو اللغوي لديه، ويكون لسماع صوته أثر على طريقة أدائه اللغوي، كما أن سرعة الاكتساب مرتبطة بنضج الدماغ والإنسان مزوّد ببنى دماغية مسئولة عن عمليات سماع الكلام وإدراكه وإرساله وتسمى " منطقة اللغة".

وفي الوقت الذي لا تنكر فيه هذه النظرية أهمية التعلّم نجدهم يعتقدون أنّ التعلّم وحده غير كاف لتفسير الاكتساب اللغوي السريع عند الطفل.